قمة ألمانية مصرية مهمة

العلاقات بين ألمانيا ومصر ليست وليدة الأمس بل هي ترجع إلى عشرات السنين بل أكثر . ومن المعروف مثلاً أن الشاعر الألماني المشهور جوته تأثر بألف ليلة وليلة ، كما أن من أحسن ما كتب عن نهر النيل ما كتبه الكاتب الألماني أميل لودفج .

وقد كانت المدارس الألمانية والتي احتفلت أحداها هذا العام بالعيد المئوي لها - من أول دور العلم الأجنبية التي انتشرت في مصر. ومن المعروف أن مستوى المدارس الألمانية في مصر من أرفع مستويات التعليم والتي يشيد إقبال المصريين عليها وترحيب الجامعات المصرية بخريجيها .

ومع انتشار دارسى اللغة الألمانية لم يكن بالشيء المستغرب أن تقرر ألمانيا ومصر إنشاء جامعة ألمانية فى القاهرة ، سيقوم بافتتاحها يوم ٥ أكتوبر كل من المستشار جرهارد شرويدر والرئيس محمد حسنى مبارك. وسيتم افتتاح هذه الجامعة فى إطار ما يمكن أن نسميه مهرجان التعاون الثقافى والتعليمى بين مصر وألمانيا ، ويستمر هذا المهرجان من ٢ إلى ٢٢ أكتوبر تحت رعاية السيدة الفاضلة سوزان مبارك وتشارك في هذا المهرجان السفارة الألمانية والمدرسة الألمانية الإنجيلية والمعهد الألماني للآثار والغرفة التجارية الألمانية العربية.

ويأتي افتتاح الجامعة الألمانية بالقاهرة تتويجاً للعلاقات العلمية والثقافية بين البلدين لتضيف مجالاً جديداً للمجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المختلفة والتي لها نشاطات ملموسة في مصر. وتعد هذه الجامعة أول جامعة ألمانية تنشأخارج ألمانيا. وقد أنشئت هذه الجامعة بالارتباط مع جامعتى أولم وشتوتجارت وهما من أكبر جامعات ألمانيا. ويشارك فى الإشراف على الجامعة الهيئة الألمانية للتبادل العلمى ويقول السكرتير العام للهيئة " أن الهدف الأساسى هو إنشاء جامعة مصرية ألمانية يكون لها دوراً ملموساً فى أحداث نقلة حضارية فى التعليم الجامعى " . ومن المعروف أن الجامعة ستقدم برامج علمية متطورة وفقاً لأحدث ما وصل إليه التقدم العلمى والتكنولوجى فى ألمانيا والدول المتقدمة الأخرى. ويضيف السكرتير العام بأن مناهج الدراسة بالجامعة هى نفس المناهج الحديثة التى يتم تدريسها فى الجامعات الألمانية بل اكثر من هذا فان هيئه الاعتماد والتفتيش الألمانية ستقوم باعتماد المناهج والمدرسين والمعامل مطابقه للمعايير الالمانية وبالتالى فان الشهادات التى ستمنحها الجامعة الالمانية بالقاهرة ستكون معترفاً بها فى الاتحاد الأوروبي من البداية وهو انجاز قد اختصر على خريجيها سنوات من العمر للحصول على هذا الاعتراف .

ولم يكن هذا التميز فى العلاقات بين البلدين على المستوى الحكومى فقط بل وعلى مستوى الأفراد فنجد أن زوجة السفير الألمانى شتلزر تهتم بالفن المصرى وتزور الفنانين المصريين فى استوديوهاتهم وحين نقل زوجها للعمل بألمانيا قامت بتنظيم معرض للفن المصرى فى ألمانيا وقامت بنقل اللوحات على حسابها الخاص. ونجد الملحق الثقافى الألمانى هرمون زيوك يقوم بترجمة مجموعة من القصص المصرية القصيرة إلى اللغة الألمانية بينما يقوم ناشر ألمانى بتنظيم مهرجان فنى مصرى فى مدينة توبنجن قدمت فيه فرقة رضا رقصاتها ونظم معرض للفن المصرى. وهكذا نجد أن هناك التقارب المصرى والألمانى كان دوماً متميزاً على كافه المستويات .

و تأتى زيارة المستشار الألمانى لمصر ولعدد من الدول العربية وفى طياتها معنى خاصاً فهى تأتى فى فترة من أحرج الفترات فى تاريخ الشرق الأوسط الذى يشاهد الآن غزواً واحتلال أمريكيا للعراق وتصاعد فى الصراع بين الفلسطينين والإسرائيليين. وموقف المجموعة الأوروبية وألمانيا بالذات معروف تجاه القضيتين. ويحدد المستشار شرويدر سياسة ألمانيا فيقول " أن التزامنا بالسلام فى الشرق الأوسط أساسة أمن إسرائيل وحق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولتهم ، وهذا هو ركيزة سياستنا الخارجية " .

وسياسة ألمانيا تجاه العراق واضحة منذ البداية حين عارضت ومعها الدول الأوروبية الحرب ضد العراق. ولكن وبعد أن بدأت الحرب فإن موقف ألمانيا. كما قال شرويدر هو أن أوروبا يجب أن تنظر إلى المستقبل وأن تعمل مع الجميع من أجل السلام وقد أكد فى أكثر من مرة ضرورة قيام الأمم المتحدة بدور أساسى فى إعادة تعمير العراق وهو يقول أن ألمانيا على استعداد لتقديم المعونات الإنسانية ولإعادة بناء الكيان الاقتصادى والمدنى فى العراق.

الكاتب:

دكتور مهندس/ نادر رياض
رجل صناعة
رئيس لجنة الصناعة بالغرفة الألمانية العربية للصناعة والتجارة
مستشار لجنة الصناعة والطاقة بمجلس الشعب

ومن قراءة بيانات شرويدر أو متابعة أحاديثه نلاحظ أنه الآن لا يتحدث باعتباره مستشاراً لألمانيا بل كزعيم لأكبر دولة فى الإتحاد الأوروبى ومن ثم فهو يتحدث كزعيم أوربى بل وعالمى وفى جميع أقواله يعبر شرويدر عن الخط الاوروبى بوضوح فى الأمم المتحدة. ويقول شرويدر فى مقال له نشر فى النيويورك تايمز " منذ ثلاثين عاماً صارت ألمانيا عضو فى الأمم المتحدة ، وكان ذلك نقطة تحول فى تاريخنا بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الألمان فى ذلك الوقت مجبرين على العيش فى دولتين يفصل بينهما جدار وحدود خطرة يسقط عندها الضحايا . والآن أصبحت ألمانيا موحدة ".

حقيقة أن ثمن تلك الوحدة كان باهظا على الاقتصاد الألمانى والمعروف ان ألمانيا الفيدرالية انفقت منذ تحقيق الوحدة أكثر من ألف مليون مارك. كما أن وضع الصناعة فى ألمانيا الشرقية لم يكن محدداً. وبعد الوحدة وجدت ألمانيا الفيدرالية نفسها أمام ١٢٥٠٠ مصنع متوسط وكبير لا يتوفر لها مقومات الاستثمار اضطرت إلى إلغاء ثلثها كما وجدت أن التلوث البيئى يزيد عشرين مرة عما هو متعارف عليه في غرب ألمانيا . وبينما قوبلت الوحدة فى البدء كانتصار سياسى ورحب بها الجميع ، فإن هناك الآن إعادة تقييم لها وذلك فى ضوء بعض المشاكل الاقتصادية. وقد أدت هذه المشاكل الى مطالبة شرويدر فى البندستاج فى مارس الماضى بضرورة احداث تغيير مؤثر وقد تقدم فعلاً بأجندة للإصلاح الاقتصادى فى إطار العمل والبطالة والتأمينات. وقد أثار ذلك البرنامج بعض المعارضة وخاصة بين اليمنيين المحافظين فى بافاريا مثلاً حيث خسر الحزب الاشتراكى الديمقراطى - حزب شرويدر - مقعداً هاماً والمعروف أن الألمان عامة لا يميلون إلى التغيير ويفضلون استمرار الأمور على ما هى عليه ، مما تجلى بشرويدر أن يعلن أن الألمان يخافون التغيير.

ومما لا شك فيه أن موقف المستشار شرويدر والذى اتسم بالجرأه والتحدى تجاه قضية العراق قد صدم الولايات المتحدة على الرغم من دورها فى إعادة بناء ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. وهناك بعض المحللين السياسيين الألمان الذين يرون أنه بقدر مساعدة أمريكا لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية بقدر انتفاع الصناعة الأمريكية إذ من المعروف أن شروط المعونات الأمريكية هى استعمال المنتجات الأمريكية.

ومن الواقع أنه بعد لقاء شرويدر وبوش أثناء الجمعية العمومية للأمم المتحدة حدث نوع من المصالحة الظاهرة بين البلدين. ولكن هذا لم يمنع شرويدر بأن يصرح بأن أمن العالم اليوم لا يمكن أن تضمنه دولة واحدة ، إن تحقيقه يمكن أن يتم عن طريق تعاون دولى ، وأضاف شرويدر " إذا أردنا أن يكون عالمنا أكثر حرية وأكثر أمنا يجب أن نحارب جذور عدم الأمن والطغيان والتعصب والفقر ".

قد تكون صحيحاً أن ألمانيا تواجه الآن بعض المشاكل الاقتصادية ولكن برنامج المستشار شرويدر للإصلاح يقدم اجنده للتغلب على هذه المشاكل وكما قال أحد المعلقين السياسيين أن خطاب شرويدر الذى ألقاه فى مارس هذا العام فى البندستاج والذى قال فيه أن ألمانيا فى حاجة إلى الشجاعة من أجل السلام والشجاعة من أجل التغيير ، قال المعلق أن الخطاب هو إعلان للعقيدة فى اقتصاديات السوق الاشتراكية وهو نداء من أجل المرونة وإعادة تعديل للنظام الاجتماعى ، كما كان نداء من أجل التضامن وكما قال المستشار فى خطابة " يجب أن نتجمع الشجاعة التى تمكنا وتمكن أمتنا على مواجهة التغييرات الضرورية لكى تعيدنا إلى مقدمة نمو أوروبا الاقتصادى والاجتماعى.

ومن المفارقات ذات المغزى أن قمة شرويدر ومبارك تأتى فى شهر أكتوبر الذى تحتفل فيه ألمانيا بذكرى الوحدة وتحتفل فيه مصر بذكرى حرب أكتوبر المجيدة وكلاهما من المناسبات الاعظم شأناً فى ضمير كل من الدولتين .